

## شعراء الأندلس الأوائل هل هم هامشيون أم مهمشون؟<sup>1</sup>

بقلم د. تريسا غارولو Teresa Garulo

جامعة الكمبلوتنسي بمدريد

ترجمة د. عبد الله محمد الزيات

كلية اللغات - جامعة طرابلس

### تقديم المترجم

قد يبدو هذا البحث قديماً إذ يعود تاريخ نشره في لغته الأصلية إلى العام 2003م، ولكن لعل في ترجمته فائدة لمن لم يطلع على أمثال هذا من آراء المستعربين الإسبان والمستشرقين بصفة عامة؛ فلربما اعتبر جديداً بالنسبة لهذا النوع من المتلقين، أو إن لم يكن هذا ولا ذلك فهو نص من النصوص الاستشراقية في دراسة الأدب العربي، كما أن هذه الترجمة لا تعني موافقة المترجم على كل الآراء التي وردت فيها، بل هي آراء الباحثة المستعربة التي ربما يوافقها فيها غيرها المستشرقين والمستعربين .

---

<sup>1</sup> ورد هذا البحث في عنوانه الأصلي " Poetas primitivos de al-Andalus : ? marginales o marginados?" في كتاب بعنوان " Identidades emarginales صمن سلسلة " Estudios onomástico-biográficos de Al -Adalus, XIII, Cristiana de la Puente , ed. Consejo superior de investigaciones científicas , Madrid 2003 .

وكاتبة هذا البحث كانت أستاذة بكلية فقه اللغة بجامعة الكومبلوتنسي بمدريد، تولت تدريس مادة الأدب الأندلسي بهذه الجامعة سنين عديدة، وأنتجت أبحاثا وكتبا في هذا المجال، ومن أهمها :

(1) "الترجمة من العربية إلى الإسبانية منذ العام 1800م" مجلة أوراق Awraq، 9، مدريد 1988 م.

(2) الأدب العربي في الأندلس أثناء القرن الحادي عشر، الذي صدر في مدريد عام 1998. ترجم وهو تحت الطبع، وسبق أن استعرض في مجلة كلية الآداب بجامعة بنغازي العدد 23 الصادر عام 2002 تحت عنوان "عرض لكتاب الأدب العربي في الأندلس في القرن عشر"، تأليف تريسا غارولو، بقلم المترجم، ص 109-120.

(3) " شاعرة مشرقية في الأندلس سارة الحلبية " القنطرة [ Al-Qantara ] 6 مدريد 1985، ص 153-177 .

(4) ديوان شاعرات الأندلس، ويتضمن تقديمًا نقديًا عن الشاعرات وشعرهن وتعريفًا بمؤلاء الشاعرات وترجمات لنصوصهن، وقد صدر في مدريد عام 1986 وترجمه إلى العربية الدكتور أشرف علي دعدور، وراجع الترجمة الدكتور محمود علي مكي ، و صدر عن دار نهضة الشرق جامعة القاهرة عام 1997 .

(5) أشعار الرصافي البلنسي، ترجمة ومدخل.

(6) ابن سهل الإشبيلي، مختارات من شعره وترجمة ومدخل.

(7) " العروض غير الخليلي بالأندلس"، القنطرة العدد 26، مدريد 2005.

(8) ابن صارة الشنتريبي : أشعار نارية<sup>1</sup> وقصائد أخرى، جمع وتحقيق ودراسة وترجمة، صدر عن دار ابريون مدريد 2011 .

(9) "تراجم الشعراء " الترجمة وجنسها الأدبي في الغرب الإسلامي Biografías de poetas “ *Biografías y género biográfico en el occidente islámico* EOBA VIII) ed .Ávila , M.L. y Marín , M.(Madrid,1997) especialmente ,117-119.

(10) تأبين السيد فرناندو دي لا غرانجا (1928-1999) Don Fernando AL-Qantara مجلة القنطرة de la Granja Santamaría العدد 20 مدريد 1999 .

والطبعة التي تحدثت من خلالها الباحثة عن الكتاب هي طبعة مصورة طبق الأصل عن المخطوط الأصلي للكتاب، الذي فقد من كل خزائن المخطوطات، بعد أن كان يرقد في خزانة القرويين بفاس ؛ إذ سلط الله عليه يد مستشرق فرنسي وهو ليفي بروفنسال، ثم يد صديقه وشريكه في أعمال علمية عديدة، المستعرب الإسباني غرسية غومس فاختلفتاه بعيدا عن أيدي الباحثين والمهتمين بتاريخ الأندلس وبآثار ابن حيان خاصة<sup>2</sup>، والذين من بينهم د محمود علي مكّي، ولم تخرج هذه المخطوطة إلا بعد مضيها مختلفا لمدة نصف قرن تقريبا، أي بعد موت غرسية غومس عام 1995 م، ووجودها في مقتنياته بعد أن

<sup>1</sup> قصدت الباحثة بالأشعار النارية تلك التي تصف النار وهي تقريبا سبعة قصائد لا أدري لم ركزت عليها الباحثة لتجعل منها جزءا في العنوان .

<sup>2</sup> انظر خبر اختطاف هذا المخطوط مفصلا في تقديم د. محمود مكّي لتحقيق هذا الكتاب : السفر الثاني من كتاب المقتبس لابن حيان، تحقيق د.محمود علي مكّي، ط1 مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،الرياض 2003/1424 ص 19،20، 57-68 .

كان قد زوده بما ليفي بروفنسال، فقامت الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد بنشرها بصورة عن تلك المخطوطة المختطفة، عام 1999 برعاية المستعرب الإسباني خواكين بالي وJuaquin Valle، و قام الدكتور محمود علي مكي بتحقيق هذه المخطوطة ونشرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عام 2003/1424، وقد أقيمت على الإحالات إلى النسخة المصورة التي كانت محل دراسة الباحثة، والتي نشرت في مدريد برعاية المستعرب المذكور، وأشارت في بعض الإحالات إلى النصوص أو الأعلام المتحدث عنها في مكانها من النشرة التي بتحقيق الدكتور محمود علي مكي أو في غير ذلك من المصادر العربية .

الترجمة :

الكلمات الأخيرة ل همبري بوغارت (Sam Spade) Humphrey Bogart في الرواية السينمائية El halcón maltés الصيد الثمين، وانطلاقاً من متابعة صورة أو خيال مانويلا مارين<sup>1</sup> Manuela Marín فإن وصف التمثال الذي يعطي اسماً للرواية بواسطة موعد شكسبيرى شيء غير مستغنى عنه " المادة التي تصنعها الأحلام"<sup>2</sup> "The stuff that dreams are made of" ولكن تفريقاً للتمثال

<sup>1</sup>Marín Manuela " Elhalcón maltés del arabismo español: el volumen211 de *Almuqtabis de Ibn Hayyán , Al-QantaraXX(1999) 543-549.*

<sup>2</sup>كما أعلمتك من قبل

فكل الأرواح انصهرت

في الهواء الخفيف

ومثل هذه الرؤيا التي ليس لها أساس

فالسحب أحاطت بالأبراج والقصور

الرائعة والمعابد الرهيبة

نعم كل هذا الإرث سينتهي

الصغير أو الدمية التي ليست ذات قيمة مقارنة بالتي طاردها وقتلتها شخصيات القسم البوليسي فإن المجلد 1/2 (الثاني القسم الأول) من المقتبس لابن حيان ذو قيمة علمية عالية ليس فقط لتاريخ بني أمية بل أيضا وبصورة خاصة بالنسبة لشعر هذا العصر. كل قارئ يتصفح الطبعة المصورة من مخطوط المقتبس<sup>1</sup> يستطيع أن يقف على الكمية الهائلة من الأشعار التي تضمها صفحاته، والمساحة الكبيرة المخصصة لتراجم بعض الشعراء، وبالفعل فإن ما يزيد على المائة والخمسين قصيدة أو مقطعة شعرية حوaha هذا المجلد من الكتاب (أكثر من تسعمائة بيت) يضاعف رقم القصائد المضمنة على سبيل المثال في الجزء الثالث من المقتبس، وهذه الكمية الكبيرة من القصائد هي بشكل خاص من الأهمية الكبيرة بمكان؛ لأنها تتعلق بعصر احتفظ منه بمعلومات أدبية قليلة جدا، ولم يدرس إلا قليلا، إذا استثنينا يحيى بن الحكم الغزال، الذي طبع ديوانه الكبير نسبيا<sup>2</sup> وسفارته إلى القسطنطينية، التي كان قد درسها ليفي بروفنسال انطلاقا من هذا

ومثل هذه المهرجانات ستنتهي  
ولا يبقى شيء بعد ذلك  
وحياتنا القصيرة مثل الأحلام  
ستنتهي عندما ننام

<sup>1</sup> Ben Hayyan de Córdoba (m .469 H./1076J.C.) Muqtabis II. Anales de Los emires de Córdoba Alhaquem I(180-206 H./796-822 J.C. ) y Abd al-Rahman II(206-232/822-847) Edición facsimile de un manuscrito árabe de la Real Academia de la Historia (Legado Emilio García Gómez ) al cuidado de Joaquin Vallvé Bermejo . Madrid Real Academia de la Historia , 1999, XX +202PP.(en adelante M2/1).

<sup>2</sup> ديوان يحيى بن حكم الغزال جمع وتحقيق وشرح محمد رضوان الداية، بيروت - دمشق 1413-1993 .

المخطوط<sup>1</sup>، وبشكل خاص عندنا دراسات إلياس تيريس Elías Terés عن عباس بن فرناس ومؤمن بن سعيد وابن الشير<sup>2</sup>، وفي كل هذه الحالات يضيف المقتبس أخبارا وأشعارا، لكن الشاعر الذي يذهب بنصيب الأسد هو الغزال الذي يقتبس له ابن حيان - في جزئيه اللذين يخصهما لنشاطاته باعتباره شاعر الحكم الأول<sup>3</sup> وعبد الرحمن الثاني<sup>4</sup> - ستا وثلاثين قصيدة، أو بالأحرى فقرة أو مقطعة، وهو رقم معتبر بشكل كاف، إذا فكرنا بأن طبعة ديوانه تتضمن 67 قصيدة، إضافة إلى ذلك يجب أن نعلم أن حوالي اثني عشرة قصيدة أو مقطعة من هذه الستة والثلاثين غير موجودة بالديوان، وأخرى عديدة موجودة بالديوان، ولكن رواية المقتبس هي أكثر طولاً وكمالاً مما هي عليه في طبعة الداية. أيضا تزداد إلى الضعف تقريبا أعداد القصائد والمقطعات الشعرية لابن الشمر؛ حيث يسجل له ابن حيان في المقتبس سبع عشرة قصيدة أو مقطعة، تسع منها لم يستطع تيريس Teres أن يعرفها من قبل؛ أي تقريبا عددها كالتالي درسها في مقاله، واثنتان من القصائد مما هو معروف من مصادر أخرى، لكن رواية المقتبس 1/2 تمتاز بمضاعفة الأبيات، ووضع الشعراء الآخرين المذكورين لا يستحق الوقوف عنده، وفي حال عباس بن

<sup>1</sup> Levi Provençal , E, “ Un échange d ambassade entre Cordove et Byzance au IXe . siècle “ Byzntion XII(1937) 1-24.

<sup>2</sup> Terés ,E. “ Abbas Ibn Nasih, poeta y qadí de Algeciras “ Etudes d Orientalisme dédiées á la mémore de Lévi -Provençal (Paris ,1962)339-358 id , “ Abbas ibn Firnas “ Al - Andalus XXV(1960) 239-249; id “ Mu'min ibn Sa'id “ Al-Andalus XXV(1960) , 455-467; id ., “Ibn al-Samir poeta astrólogo en la corte de Abd al-Rahman II” al-Andalus XXIV(1959) 449-463.

<sup>3</sup> M2/1 , 132-136.

<sup>4</sup> M2/1, 158 -163.

ناصح فإن نشاطه الشعري لم يتعد أكثر من إمارة الحكم الأول، وقد سجل له ابن حيان ست قصائد قصيرة من هذا الإنتاج، ولكن اثنتين - واحدة من ثلاثة أبيات والأخرى من أربعة أبيات - تمثلان مادة جديدة بالنسبة لست قصائد الموجودة في دراسة تيريس .  
الإنتاج الشعري لعباس بن فرناس - المذكور أولاً شاعرا للحكم الأول، وثانياً مجالسا أو نديماً لعبد الرحمن الثاني - مازال قليلاً جداً، وإن أضيفت الخمس قصائد التي في المقتبس 1/2 إلى الست التي في مقال تيريس فإنها لاتصل إلى خمسين بيتاً، والحال نفسه يمكن أن يقال في مؤمن بن سعيد الذي يظهر دائماً مرتبطاً بعباس بن فرناس بسبب الهجاء الذي كانا يتبادلانه .

يحمل المقتبس 1/2 ست قصائد جديدة تضاف إلى التسع أو العشر التي تضمنتها دراسة تيريس، لكن البعض الآخر هو مقطعات قصيرة جداً، أو مجزئات قصيرة، حتى إن مجموع الأبيات لا يكاد يتجاوز الأربعين بيتاً.

ومع ذلك فإن أكثرية قائلِي الأشعار التي ضُمَّت في المقتبس 1/2 مجهولة كثيراً، بعض منهم كتاب أو وزراء لبعض الأمراء، وهم قادرون - مع ذلك - على قول الشعر، كما هو الشأن في محمد بن أمية بن يزيد، وعبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث؛ فالأول عضو من أسرة عربية معروفة<sup>1</sup>، وهو كاتب للحكم الأول، وقد وقع هذا الكاتب وقعة سيئة بسبب توقع إمالة سليمان بن عبد الرحمن له، فسليمان هذا هو عم الأمير والنائب على سلطته؛ ومحمد بن أمية هذا صاحب قطعة من ثلاثة أبيات كتبها سرا إلى النائب<sup>2</sup>، وهي موجودة بشكلها نفسه في كتاب المغرب 71/1، ويذكر ابن حيان بيتاً آخر لمحمد

<sup>1</sup> Fierro, M. , “ Familias en el Tarij iftitah al-Andalus de Ibn al-Qutiyya”  
EOBA IV ed. Molina , L. (Madrid- Granada 1990), n52.

<sup>2</sup> Muqtabis 211 90 . وانظر الأبيات في السفر الثاني من المقتبس تحقيق محمود على مكى ص 100 المترجم .

بن أمية هذا شارحا علاقة الجوار التي تربطه بسليمان، وبيتا قديما يضمنه في الرسالة التي كان قد أرسلها إليه .

أما الثاني وهو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث حاجب الحكم الأول ت<sup>1</sup>824/209 فيقتبس له ثمانية أبيات في رثاء الأمير، يتضمن فقرة يهنئ فيها عبد الرحمن الثاني بتولية الحكم، وهو جزء من واجبات منصبه، وطريقة جيدة في تأمين مستقبله مع الملك الجديد.

أيضا عبد الله بن حسين بن عاصم<sup>2</sup> كان علما كبيرا في الحياة السياسية، إنه صاحب الشرطة (أو صاحب السوق طبقا للمقتبس 1/2، 171) والنديم لأميرين، والمشهور بسرعة بديهته الفائقة على قرض الشعر، ولكن يثبت له ابن حيان بيتا واحدا فقط، وهو بيت فاحش إلى حد كبير، مجيبا فيه عن هجاء سعيد بن فرج الرشاش (165)<sup>3</sup>.

يمكن أن يبدو طبيعيا أن هذا النوع من الأعلام لم يلق انتباها سوى ذكره في قوائم موظفي الدولة ، أو في الكتب التي أرخت للحملات الحربية، ولأن شعر هؤلاء ليس كثيرا لم يثبت في المختارات المحتفظ بها، ولم يجمع في ديوان، ولكن أيضا لم يصل إلى المختارات أشعار شعراء من نوع كان يجب أن يكونوا معروفين جدا، إذ هم مثنون في وقتهم : أي شعراء البلاط .

<sup>1</sup> وهي في ص 276-277 من طبعة محمود مكي [مترجم] M3, 212

<sup>2</sup> Marín , M., “Nómina de sabios de al-Andalus” , EOBA I,ed, Marín ,M .Madrid 1988, n 763.

<sup>3</sup> هما في الواقع بيتان، و فعلا فيهما فحش كبير، انظر السفر الثاني من المقتبس تحقيق محمود علي مكي ص 377 [المترجم].



المقتبس 1/2 يسمح لنا بمعرفة الخطوات الأولى نحو نمو إرساء دسترة واحدة من وظائف الشعر كان معمولاً بها في المشرق منذ زمن، الفقرة المخصصة لشعراء إمارة الحكم الأول، تتضمن تراجم أربعة شعراء فقط<sup>1</sup>، هم: عباس بن ناصح (128-130) وعباس بن فرناس (130-132) و يحيى بن حكم الغزال (132-136) وإبراهيم بن سليمان الشامي (136-138)، والشعراء الذين خصصت لهم فقرة عهد عبد الرحمن الثاني هم أيضا أربعة: يحيى بن حكم الغزال (158-163) الذي استمر في وضعه، وسعيد الرشاش (163-166) وعثمان بن المثني القيسي (166-167) وعبد الله بن بكر بن سابق الكلاعي الملقب بالنذل (167-168)، ولكن المقتبس 1/2 خصص قبل ذلك فقرة مختصرة جدا نوعا من الاختصار لندماء (جلساء وسمار) الأمير، الذين يدون امتدادا للبلاط الأدبي: ابن الشمر (154-156)، عبيد الله بن قرلمان (قرلمان)<sup>2</sup> بن بدر الكلبي أبو عثمان ت 847/233 (156-157) وعباس بن فرناس (157-158) وذلك يفترض توسعا في تعداد الشعراء الذين يمكن أن يدعوا بالشعراء الرسميين؛ فعباس بن فرناس يبدو أنه كان يتمتع بالظروف نفسها التي كانت له في إمارة الحكم الأول، وابن الشمر - بالإضافة إلى كونه واحدا من فلكيي القصر - كان يقول أشعارا يعرض فيها أحداثا رسمية (جنازة الحكم الأول 139 وجها وظهرا) أو مشاريع عامة، مثل توسيع المسجد الجامع (142)، وسنرى فيما بعد - كما في الجزء الثالث من المقتبس<sup>3</sup> - بأن رقم شعراء القصر سيتضاعف مرتين، أو تقريبا ثلاث مرات، وربما لهذا السبب نفسه لا يعتبر ابن حيان تضمين تراجمهم مناسبا إلا في حال ابن عبد ربه؛ الأول في الجميع، إن

<sup>1</sup> انظر تراجم هؤلاء في الصفحات 234-269 من طبعة محمود مكي [الترجم؟].

<sup>2</sup> ذكره محمود علي مكي ابن قرلمان؛ بالراء [الترجم].

<sup>3</sup> M3,41-50.

هذا واحد من الفروق الرئيسة بين السفيرين الثاني والثالث من المقتبس، في التعامل مع الشعراء؛ يصمم ابن حيان ترجمة (وفي بعض الأحيان ترجمتين) لكل شاعر آخذا المعلومات عنه من المصادر المختلفة، ومن بين ذلك ابن الفرضي<sup>1</sup> ومعاوية بن هشام الشيبينسي، وبخاصة عبادة بن ماء السماء، مرفقا ترجمته بمختارات من قصائد يمكن أن تكون في بعض الأحيان طويلة جدا، كما شرحنا قبلا .

ومع ذلك فليس لكونهم شعراء بلاط ضمنوا أن يكونوا متجاوزين لاحقا، النموذج الأحسن في ذلك إبراهيم بن سليمان الشامي؛ الذي تتسع ترجمته في المقتبس 1/2 لذكر وصوله إلى الأندلس في عهد الحكم الأول؛ وذكر حظه المعكوس بالأحرى في بلاط هذا، وفي وضع أحسن في بلاط عبد الرحمن الثاني، وما زالت توجد بعض الأحكام النقدية عن شعره ؛ أي كثرة اللحن بسبب جهله للنحو، وسهولة في الأخذ أو السرقة (هما المصطلحان المستعملان) من شعراء آخرين، و تطور شعره إلى موضوعات زهدية، وقد كان واحدا من الشعراء الذين أدخلوا إلى الأندلس شعر المحدثين؛ يذكر بأنه أدرك معرفة أبي نواس وأبي العتاهية من شعراء المحدثين، وعند التدقيق فإن شعر إبراهيم بن سليمان الشامي الزهدي هو الذي كان قد فرض حضوره في ساحات شعبية، كما يكشف عن ذلك الخبر الذي مفاده أنه في جنازة محمد بن شخيص - شاعر الخلافة في عصر الحكم الثاني وعصر المنصور - أنشد بعضهم أبياتا للشامي هذا، وإن كانت أغلبية المستمعين لم تعلم من كان صاحب هذه الأبيات .

<sup>1</sup> ليس فقط تاريخ العلماء وإنما أيضا كتابه المفقود "كتاب الأدباء" المليء بالأخبار والحكايات التي تجعله مختلفا جدا عن تاريخ العلماء انظر "El Kitab al-udaba' de Ibn al-Faradí" Molina, L, Anaquel de Estudios Árabes (en prensa).

يثبت ابن حيان اثني عشر نصا شعريا لإبراهيم بن سليمان الشامي أي (76 بيتا) بعض منها عبارة عن أجزاء من قصائد طويلة جدا، لكن فقط مقطوعتين قصيرتين مكونتين من بيتين وثلاثة أبيات وصلتا المقرئ<sup>1</sup>.

عثمان بن المثنى<sup>2</sup> وسعيد بن الفرغ الرشاش<sup>3</sup> وعبد الله بن بكر بن سابق الكلاعي النذل<sup>4</sup> معروفون أكثر، أو على الأقل تثبت أسماءهم في العديد من المصادر؛ هم شعراء بلاط عبد الرحمن الثاني، ولكن بالكاد توجد لهم أبيات خارج المقتبس 1/2؛ حيث يثبت ابن حيان للأول ستة [نصوص مقطوعات أو] قصائد أو أبيات مجزأة (39 بيتا) كان يجب أن يضاف إليها نضان آخران (10 أبيات)، وإذا كان عمر بن المثنى قائل بعض القصائد حول توسيع المسجد الجامع (140-141) هو الشخص نفسه في المغرب لابن سعيد<sup>5</sup> فلا يوجد له أكثر من ثلاثة أبيات.

يوجد لسعيد الرشاش اثنا عشر (نصا شعريا) (55 بيتا) في المقتبس 1/2، مقابل بيتين فقط في المغرب<sup>6</sup>، وثلاث نصوص قصيرة في كتاب التشبيهات لابن الكتاني<sup>7</sup> ويوجد ثماني نصوص قصيرة للنذل (46 بيتا) ثلاثة منها مثبتة بعض أبياتها في المغرب<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> NT(A)III, 12.

<sup>2</sup> Marín, "Nómina,n913.

<sup>3</sup> Marín, "Nómina,n563.

<sup>4</sup> Marín, "Nómina,n757.

<sup>5</sup> 15,1,112-113.

<sup>6</sup> 15,1,114-115.

<sup>7</sup> ابن الكتاني، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1986/1406 رقم 545، 560، 575 لكن النص الأول ينسب في مصادر أخرى إلى أبي العتاهية.

<sup>8</sup> IS,I,113-114.

عبد الله أو عبيد الله بن قزلمان، أو قزلمان هو علم آخر من أعلام البلاط، كان جليسا لعبد الرحمن الثاني، لا يظهر في مصادر أخرى لكن ابن حيان - وإن احتفظ بفقرة من ترجمته - لم يعط معلومات كثيرة عنه، ولم يذكر له سوى نصين شعريين قصيرين .

فصل آخر في المقتبس 1/2 أثبتت فيه تراجم؛ إنه الفصل المخصص لمنجمي بلاط عبد الرحمن الثاني؛ فالثلاثة منجمين الذين يشغل بهم ابن حيان نفسه كانت لهم علاقة بالشعر، وهم عبد الواحد بن إسحاق الضبي<sup>1</sup> وهو واضع أرجوزة في التنجيم، احتفظ منها بتسعة وثلاثين بيتا<sup>2</sup>، لكن ابن حيان يحكي فقط قصته المأساوية ضحية للأمير غير القابل القابل لنشر أسرار النجوم، وحكاية ذلك لها قيمة أدبية كبيرة (172-173).

ونجد عن ابن الشمر فقرة أخرى مخصصة لتنبؤاته وأشعاره (168-170) وفي ترجمة الثالث؛ مروان بن غزوان<sup>3</sup> نجد بالإضافة إلى مشاكله مع جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [حراس الأخلاق العامة] - التي وضعته في السجن - ما سجله ابن حيان من أشعار هذا الشاعر العديدة، التي كتبها في ذلك السجن، وأشعارا أخرى في الغزل بالغلمان (170-172) واحد منها فقط يذكر فيه الذي سيصبح فيما بعد الأمير محمد والذي استحق بموجبه السجن، وقد أثبت هذا النص في المغرب<sup>4</sup>.

يسجل ابن حيان في هذه التراجم جميعا شعراء آخرين وأشعارهم، دون أن يكونوا مستهدفين بالحديث بالدرجة الأولى، وهو ما حدث في حالة شعراء قالوا شعرا في غرض المهجاء، وفي بعض الأحيان يبدو الانطباع بأن الأمراء كانوا يشجعون على تبادل قول

<sup>1</sup> Marín "Nómina" n 874.

<sup>2</sup> Samsó, J, Las ciencias de los antiguos en al-Andalus, Madrid, 1992, 28.

<sup>3</sup> Marín, "Nómina", n 1379.

<sup>4</sup> IS, II, 22-23.

الشعر بين ندمائهم ومجالسيهم، وهكذا فمع عباس بن فرناس يبدو مؤمن بن سعيد، الذي هو ليس بشاعر بلاط، ومع ذلك فإن ترجمته لم تكن ذات بعد في بناء المقتبس، ويظهر مؤمن بن سعيد أيضا في ترجمتي زرياب، وعبد الله بن بكر بن سابق النذل، وكانا ضحية لهجائه .

يذكر إلى جانب عباس بن ناصح للسبب نفسه إبراهيم المهري الجزيري (129) وبكر بن عيسى الكناني، وإن لم تذكر لهما أشعار.

وتبدو في ترجمة زرياب أيضا أشعار من مدحوه مثل ابن الشمر، ومن احتفلوا بأحداث أسرية عامة، مثل زفاف واحدة من بنات زرياب؛ أي حمدونة، إلى وزير من وزراء عبد الرحمن الثاني، هشام بن عبد العزيز الذي تلقى التهئة في شعر أحمد بن فرج الكاتب (152).

أيضا تُضمَّن بعضُ الأشعار في تراجم بعض الموظفين في البلاط، وخاصة المتحكمون منهم والمعتبرون؛ فمديح لبكر بن قيس الكناني موجود في ترجمة عبد العزيز بن أبي عبدة (117)، وفي ترجمة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث (117-118) يشدد على قيمته، و مثبت في الترجمة بعض الأبيات من مطولة في المدح، قالها فيه غريب، وهو شاعر - كما يقول ابن حيان (أو الرازي وهو مصدر ابن حيان) - : لم يتعود قول الشعر في هذا الغرض.

في هذه الترجمة ذاتها، أي ترجمة عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث يظهر خبر من الأخبار الأكثر إيجابية (و إيجابا) في هذا الجزء من المقتبس، إضافة إلى خصوصيته السياسية والعسكرية، إذ يعد من بين مهارات هذا الحاجب كونه شاعرا جيدا وناثرا جيدا، وقد رأينا في فقرة أخرى كيف ضُمَّن الرثاء الذي قاله في الحكم الأول، وعند ذكر عبد

الكريم هذا يذكر ابن حيان أن أبا عبد الكريم؛ أي أحمد بن عبد الواحد بن مغيث، كان أحسن شاعرية من عبد الكريم، وفوق ذلك كان أكثر قولاً للشعر، وهو ثناء يفهم أحسن إذا أخذنا في الاعتبار، أن واحداً من بين شروط توفر الشاعرية الجيدة عند العرب أن يكون الشاعر أكثر من قول الشعر، ومع ذلك لا نعلم شيئاً عن هذا الشاعر الذي ينتمي إلى أوائل القرن الثالث الهجري؛ أي النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، والأكثر أهمية من ذلك أنه تنسب له ملحبة (118) مشهورة كانت لها عواقب وخيمة على صاحبها؛ حيث سلبت عنه الثقة فيه (أحقت بقائلها وأكسبته التهمة) وقد أثبت ابن حيان بداية القصيدة فقط وهو شطر على البحر الطويل :

#### ألا رب نهر رائع قد علوته

فمصطلح ملحبة لا يظهر في المعاجم العربية، وقد أثبتته دوزي رجوعاً إلى ابن خلدون؛ بمعنى أنه نوع من الشعر الشعبي، وقد أشار ابن خلدون إلى ملحبة أعمى زرهون (الكفيف الزهوني) التي ترجمها غرسية غومس تحت عنوان الرجل الكبير<sup>1</sup> el Gran zéjel ، أجل إنه بالفعل زجل مكون من مائة مقطع، إنه شعر تاريخي من القرن الرابع عشر في عربية دارجة، يقص فيه حملة سلطان المغرب أبو الحسن المريني المأساوية على تونس فيما بين سنتي 1347 م و 1350 م<sup>2</sup> وقد خصص كل من محمد بن شريفة وغرسية غومس -في طباعتهما للنص العربي ودراسته<sup>3</sup> - مساحة واسعة لدراسة مصطلح ملحبة<sup>4</sup> ، الذي

<sup>1</sup> García Gómez , E, "El Gran zéjel marroquí del Ciego de Zarhun. Versión personal " Boletín de la Real Academia de la Historia , CLXXXVI(1989) 1-45 Y 137-207.

<sup>2</sup> García Gómez , "El Gran zéjel marroquí " ,p.4.

<sup>3</sup> ملحبة الكفيف الزهوني، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة الرباط 1407 / 1987 .

<sup>4</sup> García Gómez " El Gran zéjel marroquí " ,p. 16-28, Malaba 35-41.

يبدو أن الوثائق الأولى فيه تنتمي إلى النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر المسيحي، أجل هكذا تدعى بعض القصائد لابن أبي الخصال (ت 540هـ / 1145م) النموذج الذي يبرهن به بن شريفة هو مقطعة من قصيدة خمسة في بحر الطويل، يمكن أن تكون قصيدة أحمد بن عبد الواحد بن مغيث، التي كانت أيضا قصيدة مقطعية، وهذا يوثق استعمال الشعر المقطعي في الأندلس حوالي سبعين سنة قبل اختراع الموشح، الذي ينسبه ابن بسام إلى محمد بن محمود (أو ربما مقدم بن معاني) واحد من شعراء الإمارة في عصر الأمير عبد الله (888/275 - 912/300).

إنه من المحتمل أيضا بما أن ملعبة أعمى زرهون كانت قصيدة تاريخية، فمن أي نوع وماذا كانت تحكي قصيدة عبد الواحد بن مغيث؟ ولماذا عادت بالعواقب الوخيمة على قائلها؟ إنها تساؤلات تبقى دون إجابة عنها في كتاب ابن حيان، وبالطريقة نفسها لا نعلم - إذا كانت حقيقة هي قصيدة مقطعية - من أي نوع هي من الشعر المقطعي كانت، يمكن أن نخمن أن القصيدة كانت تتحدث عن تناقضات أو انشقاقات واعتراضات على سياسة الحكم الأول، واتسع ذلك أو انتشر في الحدث الصغير من تمرد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، وأخيه عبد الملك، عندما أرسل الأول إلى طليطلة، وبعد ذلك أقيلا (91-92)، وهو أمر - أيضا - لم يبينه المقتبس 1/2 .

ليس فقط تراجم الشعراء خاصة هي التي يخصص لها ابن حيان في هذا الجزء من المقتبس فضاء غير معتاد في كتاب للتاريخ، وهي الأمكنة الوحيدة المحجوزة للشعر، بل كما هو في أجزاء أخرى من هذه الحوليات [التواريخ] فإن كثيرا من الأحداث تولد شعرا، شعر الإخبار بالانتصارات، والإخبار عن مجالس السفراء ومقابلاتهم، والأحداث الحدادية والمحنة التي توقظ الشفقة أو الرهبة و الفرع، أو أحداثا سعيدة توضح ازدهار العصر في

عهد العاهل الموجود في وقته، مثل توسيع المسجد، ووصول النورمانديين، ونهاية ثورة الرض وثورة الطليطلين، وموت الأمير، كل ذلك يستهدفه الشعر، بالضبط الفقرة المخصصة لحكاية تمرد الرض في قرطبة تتضمن مع أبيات للحكم الأول - مفتخرا فيها بسحق هذا التمرد - أبياتا لغريب بن عبد الله يبكي فيها الذين ماتوا في وقعة الرض ففي المقتبس 1/2، 112 تثبت 25 بيتا من هذه المرثية، التي كانت أطول جدا مما أثبت، فشخصية هذا الشاعر- المعارض تقريبا دائما لسياسة الحكم الأول، ولكن أيضا المنتقد جدا لمعارضى الأمير - جعلت ابن حيان يضمن في هذا المكان ترجمة لغريب<sup>1</sup>، يبدؤها بذكر إنشاد معاوية بن هشام الشيبينسى لغريب هذا قصيدة مطولة في رثائه لأهل قرطبة، ذاكرا في الترجمة ستة نصوص شعرية أخرى في موضوع الزهد أو المهجاء (لأهل طليطلة ولفقهاء قرطبة) وبعد ذلك (118) يضمن ابن حيان بعض الأشعار في مدح عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، وبيتين في معارضة لإبراهيم بن سليمان الشامى (137) ما مجموعه في النهاية عشرة نصوص (58 بيتا) لشاعر [أي غريب] تكاد المصادر لا تثبت له سوى ثلاثة نصوص شعرية، واحد من سبعة أبيات في جذوة الاقتباس للحميدى<sup>2</sup> يكررها الضبي في بغية الملتمس<sup>3</sup> وابن سعيد في المغرب<sup>4</sup> والمقري في النفع<sup>5</sup> في روايات قصيرة جدا، والثاني من خمسة أبيات في نفع الطيب للمقري<sup>6</sup> والنص الثالث من

<sup>1</sup> انظر ص 174-179 من تحقيق محمود علي مكي .

<sup>2</sup> تحقيق إبراهيم الأبيارى، القاهرة بيروت رقم النص 755 .

<sup>3</sup> تحقيق الأبيارى، القاهرة دار الكتاب المصرى، بيروت دار الكتاب اللبناى 1989، ص 442.

<sup>4</sup> تحقيق شوقى ضيف القاهرة 1953 23/2-24 .

<sup>5</sup> تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1968 332/4 .

<sup>6</sup> تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة بيروت القطعة رقم 639.



من بيتين [تنقصبهما كلمات أحال فقدها قراءتهما قراءة صحيحة] في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني<sup>1</sup>.

يبدو لي أمرا مشكوكا فيه أن يكون غريب بن عبد الله هذا، هو غريب بن سعيد، الذي يوجد في يتيمة الدهر للثعالبي<sup>2</sup> كما أشار إحسان عباس، ليس فقط بسبب تدوين الاسم<sup>3</sup> بل أيضا لأن الأشعار الثلاثة التي جمعت له في الغزل، وهي تعطي بيانا أكثر حداثة.

وفي انتظار مفاجأة أن نجد كمية أكثر أهمية من شعر شعراء تقريبا مجهولون، نجد ابن حيان يواصل اهتمامه - وهو أمر طبيعي - بمؤلاء الشعراء الذين ازدهروا في عصر تشكل الثقافة الأندلسية، الذي لا يكاد أن يكون قد وصل إلينا إنتاجه، لماذا لم يصل إلينا؟ يوجد جواب واضح؛ الشعر الأندلسي حفظ بطريقة مجزأة، مجزأة لأجل أن الاحتفاظ بالشعر كان يتم عبر قصائد في الكتب التاريخية، أو في كتب تراجم الأعلام، وهي ليست كتباً مخصصة للشعر؛ بل هي تجمع النصوص الشعرية بشكل مشتت أو مجزئ، وقد ضاعت دواوين عديدة (لا توجد دواوين الشعراء المبكرين) ومختارات شعرية كثيرة، وخاصة

<sup>1</sup> تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت، 1966، رقم النص 639.

<sup>2</sup> بيروت 52/2، 1979/1399.

<sup>3</sup> Brockelmann, G.A.L. 1,236, fecha su muerte en 353/964, véase Lucini M, "Andalusíes en las obras de Brockelmann y Kahhala" EOBA VII, ed Marín, M y Felipe, H, de (Madrid, 1995) n 353 de hecho parece que podría tratarse de Arib b. Said, véase Lopez Lopez Á, " Vida y otra del famoso polígrafo cordobes del siglo X Arib Ibn Said " Ciencias de la naturaleza en al- Andalus, textos y studios 1, ed García Sanchez, E, (Granada 1990)317-347.

المختارات الأندلسية الأولى، فمن الخمس عشرة التي يذكرها تيريس في مقاله<sup>1</sup>، احتُفِظ فقط بكتاب التشبيهات [من أشعار أهل الأندلس] لابن الكتاني، لهذا فإن استعمال ابن حيان لمختارات عبادة بن ماء السماء ومعاوية بن هشام الشبيني مهم جدا، ولكن هذا تسبب في أن يعين على ضياعهما لاحقا، كما يقول لويس مولينا<sup>2</sup> Luis Molina وهو ما حصل مع الكتب التاريخية التي استخدمها ابن حيان مصادر أولية للمقتبس؛ فمثلا نقولات ابن سعيد في المغرب عن مختارات عبادة تبدو أنها أخذت عن كتاب ابن حيان .

يثير الانتباه - في كل الأحوال - أنه لا أحد من الشعراء الذين ذكروا في المقتبس 1/2 يظهر في المصادر المشرقية، فيما عدا عباس بن فرناس، ومؤمن بن سعيد، وعبد الله بن حسين بن عاصم، والغزل، الذين يذكرون في يتيمة الدهر للثعالبي، و هو كتاب يجب أن تدرس معلوماته عن الأندلس، ونجد أغلبية الشعراء الأندلسيين المذكورين فيه ينتمون إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري /التاسع المسيحي (أقل من الذين يذكرون في الجزء الثالث من المقتبس مثلا) وإلى القرن الرابع الهجري العاشر المسيحي، وبدايات الخامس الهجري الحادي عشر المسيحي (قسم الأندلس ينتهي في ابن دراج القسطلي).

<sup>1</sup> Terés ,E. “ Ibn Faray de Jaén y su Kitab al-hadaiq. Las primeras antologías arabigandaluzas” Al-Andalus XI(1946) 131-157.

<sup>2</sup>Molina ,L, “ Historiografía “ Los reinos de Taifas .Al-Andalus en elsiglo XI, vol, VIII-I de historia de España Menendez Pidal,coord. Viguera M.J, Madrid, 1994,11.

في اختيارات لاحقة مثل مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري لا تثبت أي أشعار لكل أولئك<sup>1</sup>.

سيقال بأن تلك المصادر قديمة جدا وفي وقتها قد بدئ فقط بمعرفة شعراء الخلافة، أو عهد ملوك الطوائف، و ترجع معرفة معظمهم إلى نجاح ذخيرة ابن بسام عندما كونت صورة متماسكة للشخصية الشعرية في الأندلس، وهذه الصورة متمركزة في القرون 5-7هـ / 11-13م، طارحة ومهمشة القرون الأولى من الشعر الأندلسي، وهكذا بقي الشعراء الأندلسيون الأوائل مهمشين .

وما تقدم ليس السبب الوحيد في التهميش الذي مني به بعض الشعراء الأندلسيين ؛ فكما نرى في المقتبس الشعر المحتفى بنقله هو شعر البلاط، والمثال الواضح جدا على ذلك: الجزء السابع من كتاب ابن حيان: الحوليات البلاطية<sup>2</sup>، فكل الشعر فيما عدا بيتين للرمادي (27 قصيدة = 571 بيتا) يلقي في حضور واستماع جماهيري في مناسبات الاحتفالات الرسمية، وهو واجب على شعراء البلاط، وخاصة محمد بن مطرف بن شخيص (ثمانية قصائد [أو قطع]) ومحمد بن حسن الطنبلي، وطاهر بن محمد البغدادي ( ثلاثة قصائد [أو قطع]) لكل واحد منهما .

الأمر نفسه يحدث في الجزء الخامس من كتاب ابن حيان، غير أنه هنا تذكر أشعار أكثر من هناك؛ (63 قصيدة [أو قطعة]) لشعراء قالوا غالبا أبياتا قليلة منذ البداية، كما

<sup>1</sup> Zanon, J. "Biografía de andalusíes en los Masalik al-absar de al-Umari"EOBAlII,ed.Ávila, M.L.(Granada1990) 157-213.

<sup>2</sup> *Anales palatinos del califa de Córdoba Al-hakam II, por Isa ibn Ahmad al-Razi*(360-364 H= 971-975 J.C.)Traducción de un ms. árabe de la Real Academia de la Historia por Emilio García Gómez Madrid 1967.

أشرت في موضع آخر<sup>1</sup>، وهذا يبدو معتادا عندما تكون دواوين الشعراء في متناول العامة، وأيضا كان من شعراء البلاط أحمد بن عبد ربه (18 قصيدة أو مقطعة) وعبيد الله بن يحيى بن إدريس (13 قصيدة أو مقطعة) وجعفر بن عثمان المصحفي (6 قصائد أو قطع) وإسماعيل بن بدر (5 قصائد أو قطع) وغيرهم .

الشعراء الذين كانوا على هامش دوائر السلطة فرصهم قليلة في أن تجمع وتحفظ أشعارهم؛ فماذا كنا نعرف عن مؤمن بن سعيد لو لم يكن مشاركا دائما في مدائح شعرية مع شاعر البلاط ؛ عباس بن فرناس، أو عبد الله بن بكر النذل؟ أو لم يكن مؤمن هذا هجاء لزياب وقضاة عديدين من قرطبة؟ أو ماذا كنا سنعرف عن القلظاط، لو لم يكن على عداوة مع ابن عبد ربه الشاعر الأهم بين شعراء البلاط، ومن كان هدفا لهجاء القلظاط هذا؟ يمكن أن نفكر أيضا أن ممارسة الهجاء تستلزم أو تورط في خطر كبير من التهميش، وقد ورطت فيه فعلا، فليس غريبا أن الشعراء الهجائين ينتهي بهم هجاؤهم إلى السجن أو الإعدام، أيضا ليس غريبا أن أشعارهم أبعدت من المختارات النموذجية للشعر الأندلسي مثل الذخيرة، ولكن ليس كل الهجاء محكوم عليه بالاختفاء أو تهميش قائله؛ فقد احتفظ بهجاء يحيى بن حكم الغزال، خاصة الذي كان ضد نصر الخصي، بالتأكيد أن الغزال له أسبابه الشخصية لحسده لنصر، ولكن أيضا الوضع السياسي هو السبب في أن يهتم بتسجيل هجاء الغزال لنصر، وحفظه بعد سقوط صاحب المكانة العليا لدى الأمير .

يمكن أن تكون السياسة بالفعل هي التي تسببت في تهميش بعض الشعراء الذين لم تصل أعمالهم بعد ذلك، ربما هذا هو الذي حدث مع شعر أحمد بن عبد الواحد بن مغيث

<sup>1</sup> Garulo, T., “ Biografías de poetas “ *Biografías y género biográfico en el occidente islámico* EOBA VIII) ed .Ávila , M.L. y Marín , M.(Madrid,1997) especialmente ,117-119.

الذي ذكرته قبلاً، يمكن أن يكون هذا هو حال غريب بن عبد الله الثقفي، فغريب كان عليه أن يهرب من قرطبة خوفاً من غضب الحكم الأول عليه، ولم يكن واضحاً ما إذا كان السبب المباشر هو رثاء موتى الرض الذي هو بالطبع في نفسه انتقاد لتصرف الأمير، أو نوع آخر من معارضة غريب لسياسة الأمير، فعندما كان لاجئاً في طليطلة وضع قصيدة في مدح الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، المبعوث إلى المدينة ليحفظ النظام فيها، عقب يوم الخندق، ربما قبل أن يعزل ممثل الحكم بسبب شكاوى أهل طليطلة الذين كان يتذلل إليهم، ولكن الأبيات اليتيمة التي وجدت له في مصادر أخرى من قصائد زهدية أو هجائية لأهل قرطبة وطليطلة، أي مجموعات مضادة للحكم الأول، من الممكن أن رثاء لموتى الرض يستجيب - إضافة إلى رغبته - مع إعطاء وجهات نظر عديدة في الحدث، أو الوضع المعارض كما يحدث في نوع كتب المحاسن والمساوي، كما يستجيب إلى الصيت أو السمعة أو المكانة الشخصية لشاعر مازال ينظر إليه شاعراً ممثلاً لهيئة أو حزب سياسي حاكم، أو بدرجة ما مستقلاً عن جماعة سياسية .

هناك نوع من الشعر الذي امتصه البلاط؛ إنه ذلك النوع العامل في الشعر الذي سنراه يختفي في كل القرن الثالث الهجري التاسع المسيحي والنموذج الجيد في القرن السابق هو أبو المخشي<sup>1</sup>.

ومن بين الشعراء المتأخرين من هذا النوع يمكن أن نذكر يحيى ابن أخي يحيى بن سقالة، وسوار بن حمدون الحاربي القيسي، وسعيد بن سليمان بن جودي، الثائرين على السلطة الأموية والممثلين للزمرة العربية في الحروب الأهلية أثناء إمارة الأمير عبد الله .

<sup>1</sup> Terés , E, “ El poeta Abu l-Majsi y Hassana al Tamimiyya”, *Al-Andalus* XXVI(1961), 229-244.

في الجزء الثالث من المقتبس تثبت قصيدة واحدة فقط لكل واحد من الإثنين الأولين من المذكورين قبل قليل<sup>1</sup>، ولكن يبدو أن سعيد بن جودي - وهو الذي أثبت له عشر قصائد في أغراض مختلفة - قد هرب إلى هذا الوضع المساند لبني أمية، وربما كان ذلك بفضل قدرته على إغراء معاصريه بمروءته وشجاعته، مثل الشاعر الغزال .

يوجد سبب آخر لتهميش الشعراء لأسباب سياسية، ويلاحظ جيدا وكثيرا - في المقتبس الجزء الثالث - الحكم المسبق المضاد للمولدين في حكاية التمرد في كورة إلبيرة<sup>2</sup>؛ حيث يثبت ابن حيان - مستندا على عبادة بن ماء السماء - عدة قصائد لرؤساء النزعة العربية، الذين يجب أن نضيف إليهم الأبيات (4 قصائد) لشاعر هذه النزعة محمد بن سعيد بن مختار بن مخارق الأسدي، ومع ذلك تثبت ثلاثة أبيات فقط لشاعر المولدين، عبد الرحمن (أو عبد الله) بن أحمد الأبلي التي يجيبهم فيها - مع صعوبة - محمد بن سعيد الأسدي، وزوجين متفرقين من شعر للأبلي، جاءت ردود كثيرة عليها من الأسدي، ومن ابن جودي، هذا الحكم المسبق نفسه المضاد للمولدين طبيعي - ربما في عصر الفتن - يمكن أن يشرح لماذا يبدو في هذا الجزء قصيدة واحدة فقط (14 بيتا) بسبب صائفة حقق فيها الانتصار في العام 909/297<sup>3</sup> من الشاعر الثاني لبلاط عبد الله، أي عبيد الله بن يحيى بن إدريس الخالدي، وهو عضو لأسرة مهمة من المولدين، كان حليفه النجاح في معارضته مع أحمد بن عبد ربه، الأول في الشعراء، بينما يثبت ابن حيان أربعة أجزاء طويلة من قصائد لهذا الأخير (89 بيتا) .

<sup>1</sup> Cf, pp.65-66 y 56, respectivamente.

<sup>2</sup> M3, 56-66.

<sup>3</sup> M3 ,143-144.

في بلاط عبد الرحمن الثالث و مع محاولة هذا إيجاد الاتفاق بين كل قوى الأندلس، فإن دور الاثنين - عبيد الله وابن عبد ربه - كان أكثر تشابهاً، ولكن في كل الأحوال فإن أبيات عبيد الله بن يحيى بن إدريس تكاد تعرف بالكاد في غير المقتبس<sup>1</sup>، و تظهر له في يتيمة الدهر خمسة نصوص قصيرة<sup>2</sup>، أما الحميدي<sup>3</sup> والضيبي<sup>4</sup> فيشبتان له قصيدة من خمسة أبيات، وتوجد قصيدة باسمه في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني<sup>5</sup>.

بين السياسة والدفاع عن الأخلاق، يوجد التهميش الذي يعانیه الشعراء الذين يقولون الشعر في غرض المجون، الشعر الماجن غرض يتلاقى فيه المزاج والمخالفة الأخلاقية، وقد قال فيه كثير من شعراء الهجاء، وهو ما يجعل الأمر ليس واضحاً إذا كانت المشاكل الموجودة عندهم ناتجة فقط عن هجائهم للسلطة، وعن اللغة الدعائية التي يوظفونها، أو ناتجة عما يشعر به الشاعر من السخرية من القيم المتواضع عليها، ففيما عدى معارضة الهجاء المحتملة للسلطة فإنه في الأصل غرض محترم في الشعر لأنه ينتقد بشدة الرذائل والنقائص، بينما يُظهر شعر المجون التعاليم الأخلاقية أمراً مشكوكاً فيه، فالشعراء المبعدون بشكل رئيس من الكتب التي وصلت إلينا هم الشعراء المهاؤون، إضافة إلى الشعراء

<sup>1</sup> ربما يكون الوزير عبيد الله بن إدريس الوارد في كتاب نفع الطيب للمقري 126/4 هو من أثبت له ابن الكتاني عدة قصائد، كتاب التشبيهات أرقام : 66، 215، 281، 282، 389، 446، 495، 496، 608، 628، أو

عبيد الله بن إدريس، (انظر "Nómina" Marín) المتوفى عام 951/340 أو 955/344.

<sup>2</sup> 12-11/2.

<sup>3</sup> جذوة المقتبس رقم 582.

<sup>4</sup> بغية الملتبس رقم 977.

<sup>5</sup> رقم 64.

المحسوبين على الجون، في كل العصور، رغم نجاحهم مع الجمهور أو بالأحرى قبول عامة الناس لهم .

وفي المقتبس 1/2 عندنا حالة الشاعر والفلكي مروان بن غزوان، من يشار مشددا إلى لسانه السيئ، و مجونه وفسقه، وهو الذي قال أشعارا في الغزل بالغلمان، وكل ذلك يكفي للإجهاز على تميزه أو بروزه شاعرا مهما .

وبالفعل أيقظ كره بعض الشخصيات المهمة في البلاط، و هي التي لم تترد في استعمال قصيدة لمروان واصفا فيها بكلمات غزلية الأمير محمدا عندما كان شابا من أجل أن تجرمه عند الأمير بجراته في ذكر ولي العهد في شعره، لتحكم بجلده و وضعه في السجن أين بقي وقتا طويلا، فالأشعار السبعة التي يثبتها ابن حيان كتبها مروان من هناك .

لقد كان هنالك سبب آخر، في الثقافة العربية، لتهميش الإنتاج الأدبي ؛ إنه سبب لغوي؛ فالثقافة الرسمية كانت تقبل فقط اللغة الأدبية التي كانت لغة الشعر الجاهلي، ولغة القرآن التي كان النحويون قد أوجبوا تقنينها وطورها داخل القواعد ؛ فكل تحريف لتلك القواعد يخرج الكتاب والشعراء وأعمالهم من الدوائر الأدبية المحددة. وفي فرص قليلة جدا كانت هذه المخالفة اللغوية مثمنا بين تلك الدوائر ؛ كما هو الشأن في أزجال ابن قزمان، ولكن - بشكل عام - لم يخلق أصحاب هذه المخالفات مدرسة، بل اختفوا دون نتائج أو عواقب، فيما عدا في الطبقات الشعبية التي لم يكن لها أداة أو مدخل إلى الثقافة المكتوبة. فقد اختفت أزجال السابقين على ابن قزمان من الشعر الأندلسي، دون أن تترك أثرا، مع أن ابن قزمان نفسه يذكر بعضهم في مقدمة ديوانه، سيقال بأن هذا السبب في التهميش كان فاعلا خاصة في الحالات الأكثر قدما في الأدب الأندلسي ؛ فنجاح ابن قزمان وقبلة نجاح أصحاب الموشحات بخرجاتها العربية العامية، أو الأعجمية، أعطى رسالة لطبيعة



هذه الأشعار، ولكن حتى مع هذا فقط، لم يحدث إلا بداية من القرن الثاني عشر مع قيود محددة .

استبعاد كتب المختارات الشعرية لشعر شاعر مبكر في العصر الأندلسي لأسباب لغوية يبدو ملمحا به في المقتبس 1/2؛ وذلك في ترجمة إبراهيم بن سليمان الشامي؛ حيث إن أسلوبها يقول لنا بأنه كان متصفا بكثرة اللحن الموجود في الاستعمال العامي، من الممكن أن الأمر لا يتعلق فقط بعدم مقدرة الشاعر، وإنما له علاقة باختيار شخصي للوصول إلى عدد أكبر من المستمعين، كانوا يعلمون أن شعر الزهد يوجد قريبا من الوعظ الشعبي، فأشعار أبي العتاهية مثلا تبحث عن لغة سهلة يفهمها رجل الشارع، وهو من يؤمل تحريكه وتفاعله .

الوعاظ أنفسهم عندما يتجهون إلى جمهور أقل تهديبا أو ثقافة، يستعملون أسلوبا حواريا أقل رقيا، ومليئا بالمصطلحات الشعبية العامة تقريبا، كما يفعل ابن الجوزي. ذكر مختارات إبراهيم بن سليمان الشامي<sup>1</sup> لو كان حقيقيا كان يمكن أن يمثل نوعا من البحث الأدبي، الذي انتهى مقننا في طرق أخرى، وهي طرق الموشح والزجل، في هذا القرن الذي تتشكل فيه الثقافة الأندلسية التي تنعكس في الأجزاء 2، 3 من المقتبس؛ حيث توجد أدلة أو علامات غليان معين في التجريب الأدبي ( ملعبات وهي أشعار في العربية الشعبية، ظهور الموشحة) استطاعت الخلافة إبعادها أو إلغائها، أو على الأقل إخفاءها أو دفنها على مدى مائة وخمسين عاما.

<sup>1</sup> ذكر له ابن حيان 75 بيتا من 15 نضا انظر السفر الثاني من المقتبس تحقيق د، محمود مكي ص 262-279 [الترجم].

تطور الموشحة كما يستعرضه ابن بسام يكشف شكلا من أشكال تهميش العمل الأدبي الذي انتشر حتى شمل إنتاج شعراء معروفين؛ فالمنتجان الأولان للموشحة التي ولدت أثناء إمارة عبد الله هما أحمد بن عبد ربه والرمادي، اللذين وجدا في القرن الرابع / العاشر، ولكن لا احد منهما احتفظ له بأي شعر مقطعي .

ربما كان لا يبدو غريبا أن موشحات الرمادي قد فقدت؛ فهو شاعر له قيمته وهو شاعر شعبي، فأشعاره يشتهر ابن بسام مع تكرار نسبي كمصطلح للمقارنة، ولكن هذا ما يعبر بشكل جيد على صورة الشاعر الهامشي أو المهشم؛ المفتري الهجاء، الذي تطارده العدالة، و قد ألقى في السجن في مناسبات عديدة، كما نرى في الخبر رقم 55 من الأحاديث البلاطية (السبت 24 من جمادى الثانية من العام 361 هـ = 12 من أبريل من العام 972 م)، وديوانه الذي لم يحتفظ به استطاع من جمعه فعل ذلك اعتمادا على أشعار مثبتة في مختارات كانت بلا شك تستبعد الموشحات؛ فلا يوجد أي منها بين الـ 140 مقطعة أو نصا شعريا، التي جمعها طاهر زهير جرار<sup>1</sup>، ومع ذلك فالتفكير: لماذا يحدث الأمر نفسه مع موشحات ابن عبد ربه؟ هو أكثر صعوبة، لماذا لم يحفظ منها ولا واحدة، إذا لم يكن التهميش الذي تتعرض له الأغراض الأدبية الشعبية والتي ليست معتبرة لدى البلاط، أثناء العصر القديم للثقافة العربية .

ابن عبد ربه هو الشاعر الأكثر أهمية والأكثر تقديرا أثناء إمارتي الأميرين عبد الله، ثم عبد الرحمن الثالث، وأشعاره هي الأولى التي تنشد في المناسبات الرسمية، كما نرى في الأجزاء 3 و 5 من المقتبس، وكان أيضا الأول الذي قال في الموشحات بعد أن اخترع هذا النوع

<sup>1</sup> الرمادي؛ يوسف بن هارون، شعر الرمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري، جمع وتقديم طاهر زهير جرار، بيروت 1400هـ / 1980 .

من الشعر مقدم بن معافى أو القبري (أو محمد بن محمود القبري) وهو أمر لم نكن نعلمه لولا إخبار ابن بسام، لم يكن ابن عبد ربه شاعرا هامشيا مثل الرمادي، فإذا لم يحتفظ بموشحاته، فيجب أن نفكر جيدا في الصعوبة التي لقيتها الأغراض الهامشية في العصور المبكرة، لتنضم إلى التيار العام للأدب .  
ومتى سيبدأ في إعطاء قيمة لهذا الشعر الذي ولد في محيط القصر؟ سيكون ذلك متأخرا جدا ؛ فبالكاد استطاعوا أن يتذكروا بعض الأسماء، وخاصة أن الشعر قد نسي.